المقياس: محاضرات في اللسانيات التطبيقية .

السنة الثانية دراسات نقدية.

الموسم الدراسي: 2021م/2022م.

الأستاذة: عبابة فاطمة.

المحاضرة السادسة : نظريات التعلم

2) النظرية المعرفية:

تعريفها:

هي نظرية تثير عدة تساؤلات، كيف يتعلم الفرد ؟ وكيف يتذكر معارفه ؟ وعما يختلف فرد عن فرد آخر؟ .

ظهرت النظرية المعرفية في النصف الأول من القرن الماضي، كرد على الأوضاع السائدة أنداك، والمتمثلة في مفاهيم السلوكية (المثير، الاستجابة، التعزيز)، فمفاهيمها تغاير كل ما جاءت به المدارس السلوكية من نظريات، خاصة فيما يتعلق بنمو العمليات الإدراكية في كل مرحلة من مراحل تطور الفرد، فالمعرفية جاءت لتصحيح رؤية السلوكيين في عملية تعلم اللغة. قد استفادت هذه النظرية من أبحاث وأراء النظرية العقلية لتشومسكي، إذ تعد امتدادا لها، وإن اختلفت معها في بعض المرتكزات، " وهذه النظرية وإن كانت في الواقع تتعارض مع المرتكزات الفكرية للنظرية العقلية التي قال بها تشومسكي، بخاصة القول بوجود تنظيمات موروثة تساعد على تعلم اللغة "، وقد دمج الدكتور صالح بلعيد بين النظرية المعرفية، والعقلية ، وجعلهما شيء واحد ، في حين كثير من الدارسين فرقوا بينهما.

التعريف بالمؤسس:

ترتبط النظرية المعرفية بالأسس التي جاء بها **جان بياجيه** في علم النفس، والبيولوجيا، فهي مبنية على أرائه، وأبحاثه، لذا نسبت له.

جان بياجيه (JEAN PIAGET): عالم نفسي سويسري، ولد سنة 1896 بمدينة نيوشاتل السويسرية، توفي سنة 1980، زعيم مدرسة جنيف لعلم النفس الوراثي، اهتم بالبيولوجيا وبالأسس البيولوجيا للمعرفة، ألف حوالي 20 مؤلف في البيولوجيا، حصل على الدكتوراه في العلوم

البيولوجية وهو في الحادي والعشرين من عمره، تأثر بياجيه بكثير من الفلاسفة في بناء نظريته، وكرس حياته لدراسة عمليات النمو المعرفي عند الأفراد، وعليه فإن الأبحاث المستمدة من أراء وأفكار جان بياجيه في حقل تعليم اللغة :

أولا: تنطلق من علم النفس الوراثي والبيولوجي للمعرفة .

ثانيا: لم يكن المقصود منها الخروج بنظرية في حقل التعليمية، "لأن بياجيه نفسه لم يقصد الخروج بنظرية تعليمية ، بل إن الأمر الذي شغله طول حياته، هو الإجابة على السؤال القديم، كيف تنمو المعارف لدى الأفراد ؟" .

السمات العامة لنظرية بياجيه :

– تتميز النظرية المعرفية بملامح رئيسية، خاصة حول موضوع التعلم والنمو الإنساني .

– تنظر إلى الإنسان على أنه بناء ذاتي التنظيم، وهو مصدر كل الأنشطة التي يقوم بها، فالإنسان ليس مجرد آلة يخزن ما يعطى له، بل له قدرة على الإبداع، من خلال قدرته على إعادة تنظيم نفسه .

– يمثل الإنسان نظاما متكاملا ذا بعدين رئيسين هما : العلاقات المتبادلة بين مكوناته وخصائصه، وعمليات تفاعلاته المستمدة من البيئة، فالنمو المعرفي، والتغير السلوكي للفرد، يحدث نتيجة تمكن الفرد من التكييف والتلاؤم والتفاعل مع البيئة .

– لا تَعْنَى هذه النظرية بالعلاقات، أو الارتباطات بين المثيرات والاستجابات،فهي ترفض كون العملية التعليمية تحدث نتيجة لمثيرات معينة كما في السلوكية، بل الاستجابات هي نتيجة للأبنية المعرفية التي شكلها الفرد.

– ترى أن الإنسان يولد ببعض الأبنية التي تمكنه من إصدار العديد من رد الفعل الانعكاسية، فالطفل يولد وله استعداد فطري، على مستوى الذات، يمكنه من تعلّم اللغة .

باستعراض السمات العامة للنظرية المعرفية، يمكن ان نستخلص أن اهتمام بياجيه انصب على دراسة عمليات النمو المعرفي لدى الأفراد، أي كيف تتشكل وتنموا المعرفة عند الفرد.

تعريف المعرفة :

هي مجموعة آثار الخبرات المترسبة في العقل، نتيجة للربط بين المعلومات البصرية وغير البصرية، ومكان المعرفة هو الذاكرة طويلة المدى ،التي هي بمثابة المخزن الدائم لمعلوماتنا المتصلة بالعالم والبيئة التي نحيا فيها، والعقل هو مصدر بناء المعارف، فتنمو وتتطور مع الإنسان، ابتداء من الطفولة، وصولا إلى الرشد، وهذا بتفاعله مع المحيط ، ومثال ذلك ما روي عن الرسول ﷺ أنه كان في جمع من صحابته ومعهم جارية، " فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين الله ؟ فأجابت في السماء، فقال لها صدقت ! وتعجب صحابي ولعله عمر رضي الله عنه قائلا : في السماء وتوافقها يا رسول الله؟ قال هكذا عقلها".

أهم قضايا النظرية المعرفية عند بياجيه :

المعرفة تنشأ لدى الطفل انطلاقا من مجموعة الأفعال التي يقوم بها في وسطه، والوسط عامل خارجي لا يمثل سوى مصدر من مصادر المعرفة، فهو يعترف أن التعليم يتم جزئيا بفعل عوامل البيئة، ولكنه يضيف إلى ذلك عاملا آخر، عامل **الموازنة**، التي تقود التعلم، أي الطريقة التي يستطيع الإنسان بها تنظيم المعلومات المتناثرة في نظام معرفي غير متناقض. ويعد بياجيه النمو المعرفي، عملية أوسع من مجرد تفاعل العوامل البيولوجية الوراثية، مع العوامل البيئية، وبالتالي يتطلب وجود قدرة إضافية تنبع من داخل الفرد، وهي ما تعرف بالموازنة، أو الاتزان : وهي " قدرة فطرية موروثة تولد مع الإنسان،وتتيح له نوع من الاتزان، بين الحصيلة لمعرفية السابقة لديه، وبين الخبرات الجديدة التي يواجهها ".

لذلك فسر بياجيه النمو المعرفي، من خلال مفهوم التوازن، حيث نجد الطفل في سعيه نحو إحداث التوازن بين ما يواجهه من مواقف وأحداث، وما يمتلكه من بنيات معرفية، يعدل عن تلك البنيات ويعيد تنظيمها ، فمثلا تكون نظرة الطفل أولا تسمية كل حيوان يمشي على أربع

بالقط، إذا كان أول شيء يعرفه من بيئته، ثم ما يلبث أن يغير من معارفه عندما لا يجد تأييدا من بيئته .

أكد بياجيه أن كل سلوك للكائن الحي (الطفل)، يستهدف توافقه مع المحيط، " فهو تغير في التراكيب العقلية القائمة"، والنمو المعرفي يتضمن جانبين، " جانب كمي، يتمثل في عمليات تشكيل الأبنية المعرفية، من موجدات هذا العالم، وجانب نوعي، يتناول التغيرات التي تطرأ على الأبنية المعرفية، والوظائف العقلية "، وتهتم نظرية بياجيه بالجانب النوعي الوظيفي، ولا تهتم بالجانب الكمي، الذي مكوناته فطرية موروثة غير قابلة للتغيير .

يرى بياجيه أن الأطفال يولدون وهم يملكون مخططات و بنى معرفية سطحية، واستعدادات ذاتية، تمكنهم من تنظيم الخبرات الخارجية، " فحين يقوم الأطفال في مرحة مبكرة ببعض الأفعال، تجعلنا نعتقد وجود سلوك قصدي وراءها، نحو التقاطه لكل شيء يلامس يده" .

يشرح بياجيه عملية تكوين البنيات المعرفية عند الطفل، انطلاقا من قدرتين فطريتين، قدرة **التنظيم** ، وقدرة **التوافق** ، اللتان تندمجان معا لبناء المعرفة، ومساعدة الطفل على التوازن مع البيئة .

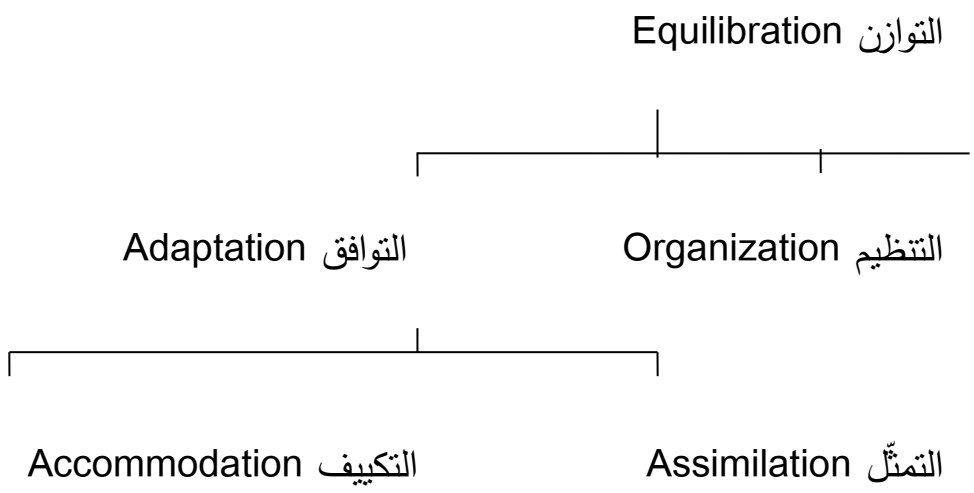

التنظيم: يعني العلاقة الجديدة، الناتجة عن ترتيب موقع المعلومات الجديدة في البينية الذهنية للمتعلم، حيث يستطيع الطفل إدماج معارف جديدة، وفق البنى المعرفية الموجودة لديه .

التوافق:هو الهدف النهائي لعملية التوازن، ويتضمن التغيرات التي تطرأ على الكائن الحي استجابة لمطالب البيئة، ويشرح بياجيه ذلك بآليتي (التمثّل + التكييف = التوافق) .

أ- **التمثّل:** تعديل الخبرات الجديدة بما يتناسب مع الأبنية المعرفية الموجودة لدى الفرد، فهي عملية تغيير في هذه الخبرات لتصبح مألوفة ، فهو آلية تقتضي إدخال معارف جديدة في مخطط، داخل بنى معارفية متوفرة سابقا، عند الطفل (كما ذكر آنفا في مثال الحيوان ذي الأربع أرجل)، "وعملية التمثل تشبه عملية المضغ والهضم، التي تهدف إلى تحويل الطعام إلى شيء يستطيع الجسم تمثله واستخدامه أي تحويل الطعام إلى مواد تساهم في تكوين الجسم ذاته، فالتمثل إذا هو عملية تحويل الخبرات والأفكار الجديدة، إلى شيء يناسب التنظيم المعرفي السابق الذي يمتلكه الفرد، ودمجها في هذا التنظيم"

ب- التكييف (التلاؤم أو التواؤم) : تعديل الاستجابة التي أصدرها الفرد، في عملية التمثّل التي أثارها المتعلم، نتيجة جمعه المعلومات الجديدة، فالطفل يلجأ لتعديل سلوك متوفر لديه، بسبب اكتشافه عدم توافق المعارف الموجودة لديه، مع البنى المعرفية الجديدة، نتيجة لتفاعله مع المثيرات الخارجية، فيعمد للتغيير، من أجل تحكّم جيّد وأفضل في الوضعية الجديدة، ومثال ذلك، إطلاقه لفظ القط على الكلب، أو أي حيوان آخر ذي أربع أرجل، فيعدّل هذا السلوك عند انعدام التفاعل والتأييد من الآخرين، " فكل نشاط قائم على التمثّل والتكييف، مصدره مسارات التوازن التلقائي، حيث يقوم الكائن الحي البشري بتكوين البنية العامة لمعارفه باستمرار أثناء تعلمه، وذلك حفاظا على توازنه، ومن ثمة فهو يواجه كل العوارض والاضطرابات التي تعوق عملية نموه المعرفي، وذلك بواسطة آلية تنظمية ".

يميز بياجيه بين نوعين من المعرفة، المعرفة الشكلية والمعرفة الإجرائية .

أ- **المعرفة الشكلية:** (Figurative knowledge)

هي مجرد جمع حرفي، وإلمام بمثيرات ظاهرة محسة تجابه الفرد، فتخزن من دون وعي بما لها من معان دقيقة، فهي معرفة تقوم على الشكل لا على العقل، نحو إطلاق لفظ قط على كل حيوان ذي أربع أرجل من لدن الطفل .

ب- **المعرفة الإجرائية** :(Operative knowledge)

هي المعرفة التي تنبع من المحاكمة العقلية،فهي معرفة تعتمد على العمليات العقلية، حيث يكون الطفل فيها قادر على القيام بعمليات مجردة؛ بواسطة العقل ، نحو قولك له أفرض كذا وكذا، حتى لو كانت عكس الواقع، فيستسيغ الطفل ذلك.

يرى بياجيه أن النمو المعرفي لدى الأفراد، يتم عبر أربع مراحل رئيسية.

1- المرحلة الحسحركية : (الحسية الحركية Sensor motor stage)

تبدأ من الميلاد إلى سن الثانية، يعتمد الطفل فيها على استخدام الحواس، أي الاتصال المباشر بالأشياء، كهزه لقدميه، فيهتّز السرير، فيكرر ذلك بهدف التسلية، وهذه المرحلة لاتهمنا في المرحلة التعليمية، لأن عمر الطفل فيها قبل سن التعليم .

2- مرحلة ما قبل المفهومات : (المرحلة الإجرائية Preoperational stage)

تبدأ من عامين إلى سبعة أعوام، تمتاز بقدرة الطفل على معرفة الأشياء في صورتها الرمزية، كإطلاقه على المكعبات اسم سيارات، أو على الحيوانات ذوات الأربع اسم القط، وهذا ما يسميه بياجيه بالتمركز حول الذات (يحكم الطفل على الأشياء من وجهة نظره هو) كما يكون تفكير الطفل فيها انتقالي تحويلي، من الخاص إلى الخاص، يرتبط بالشكل الخارجي، معتمدا على بعد واحد في بنائه المعرفي، فلا يقبل عقله مثلا، كون 01كلغ من الحديد يساوي 01 كلغ من القطن.

3- مرحلة التفكير المحس: (العمليات المادية Concrète operational stage)

تبدأ من سن السابعة إلى اثنتي عشرة سنة، يكون الطفل فيها قادرا على القيام بعمليات عقلية، كالتفكير الاستدلالي، والاستنباط، والاستنتاج، ويتحرر من مركزية الذات، وتتطور بناه المعرفية؛ فيصبح الطفل قادرا على التصنيف، والترتيب، والقلب، نحو قدرته على تصنيف الأشكال الهندسية (مثلثات–مربعات...) ومصنوعة من مواد مختلفة، حيث يتخلص من التفكير وفق بعد واحد .

4– مرحلة التفكير العياني: (العمليات المجردة operational)

تبدأ من سن الثانية عشر إلى ما فوق، حيث تنمو لدى الطفل المفاهيم، والبنى المعرفية السابقة، ويبدأ فيها التوّصل إلى الاستدلال عن طريق استدلالات أخرى، ويستطيع التفكير من الخاص إلى العام.

النظرية المعرفية وتعلم اللغة :

يرفض بياجيه كون العملية التعليمية، مجرد معلومات تخزن في ذهن الطفل، وكون المعلم عنصر أساسي مركزي فيها، ويرى أن الدور الأساسي في العملية التعليمية يرجع للطفل؛ باستغلال قدراته الذهنية.

التعلم الحقيقي، هو ذلك التغير الذي ينشأ من عمليات التأمل المعرفي، والتعليم الحقيقي يكون بإتاحة الفرصة للمتعلمين لاستغلال قدراتهم الذهنية، وبناء معارفهم، " إدراك الخبرات والمثيرت البيئية الجديدة ليس مجرد عملية تسجيل سلبي لما هو مدرك، بل هو عملية تغيير للمدركات الجديدة تعتمد على المخططات والبنى المعرفية فعلا، وحيث تغدوا جزءا من التنظيم المعرفي للطفل".

لا يكتسب الطفل اللغة، إلا بعد قدرته على الترميز، التي تظهر في نهاية المرحلة الأولى، وبداية المرحلة الثانية– حسب تقسيم بياجيه– " يمتاز طفل هذه المرحلة بقدرته على التمثيل الرمزي للأشياء، والذي يتضح من خلال اللعب الخيالي، أو الرمزي"، حيث يبدأ الطفل عالمه الخاص، عن طريق الصورة الذهنية، والرموز، فيصبح قادر على استحضار الأشياء حتى ولو

كانت غائبة، لذا يستعمل العصا كما لو كانت بندقية، ومكعبات الخشب وكأنها سيارات، وفي هذه المرحلة ميز بياجيه بين ثلاثـة أنماط من اللغة عند الطفل، 1) ألفاظ معبرة عن خيال الطفل 2) ألفاظ يعبر بها عن حاجاته 3) ألفاظ ذات مدلول اجتماعي .

تعلم اللغة له نفس جذور اللعب الرمزي عند الطفل، الذي يلجأ إلى التمثيل الرمزي؛ استعمال الأشياء بوصفها رموزا، أو دلالات على أشياء أخرى، كذلك اللغة عنده يشبهها بالرموز؛ ويقرنها بأشياء، " فالاسم يرتبط بالشيء في ضوء خصائص معينة، بحيث يفقد هذا الشيء الاسم عندما تتغير خصائصه الظاهرية، فعلى سبيل لمثال ، التراب لم يعد ترابا عندما يصب عليه الماء، بحيث يرى الطفل بأنه طينا ولم يعد ترابا" .

كل إنسان يتعلم اللغة، لا لأن الجميع يخضعون لعمليات إشراط مشابهة، بل لأن كل إنسان يمتلك قدرة فطرية تسمح له بتعلم اللغة ، فالاستعدادات، و البنى المعرفية البسيطة التي يولد بها الفرد، عند تفاعلها مع البيئة، تمكّن الفرد من تعلم اللغة .

تعلم اللغة لا يرتبط بالتعزيزات، " يرفض بياجيه اعتبار التعزيز، أو العقاب (الحوادث الخارجة) على أنها محددات للسلوك، كما هو الحال عند سكينر، أو أن الحاجة إلى خفض الدافع هو المحدد كما هو الحال في نظرية هل ، بل يعتبر عامل التوازن هو العامل الخاص المحدد للتعلم والسلوك "، فالطفل قد يسمع كلمة مرة واحدة أو أكثر، دون أن يستعملها لمدة من الوقت، في حين يحسن استخدامها في موقف جديد، وهذا ما ينفي فكرة التعزيز والتكرار .

فهم الأشياء أمر ضروري في تعلم اللغة، (يؤكد بياجيه على ما يسميه بالتعلم القائم على المعنى لأنه من أكثر الأنواع ديمومة وانتقالا) ، فمعرفة معاني الكلمات أو الجمل، أمر ضروري، وعنصر رئيسي في تيسير عملية تعليم اللغة.

ت البيداغوجية والتكنولوجية اللازمة، وضعف تكوين المدرسين.